

خمس أغان للآلم

1

مُهْدِي لِيَالِينَا الْأَسَى وَالْحُرْقُ

سَاقِي مَاقِينَا كُؤُوسَ الْأَرَقِ

نَحْنُ وَجَدْنَاهُ عَلَى دَرْبِنَا

ذَاتَ صَبَاحِ مَطِيرٍ

وَنَحْنُ أَعْطِينَاهُ مِنْ حُبِّنَا

رَبَّةً إِشْفَاقٍ وَرَكْنَا صَغِيرٍ

يَنْبِضُ فِي قَلْبِنَا

**

فَلَمْ يَعُدْ يَتْرُكُنَا أَوْ يَغِيبُ

عَنْ دَرْبِنَا مَرَّةً

يَتْبَعُنَا مَلَاءَ الْوَجُودِ الرَّحِيبِ

يَا لَيْتَنَا لَمْ نَسْقِهِ قَطْرَةَ

ذَاكَ الصَّبَاحِ الْكَنْيَبِ

مُهْدِي لِيَالِينَا الْأَسَى وَالْحُرْقُ

سَاقِي مَاقِينَا كُؤُوسَ الْأَرَقِ

من أين يأتينا الألم؟

من أين يأتينا؟

أخى رؤانا من قدم

ورعى قوافينا

**

أمس اصطحبناه إلى لُجج المياه

وهناك كسّرناه بَدَدْنَاهُ في موج البحيرة

لم نُبْق منه آهة لم نُبْق عبْرهُ

ولقد حَسِينَا أَنَا عُدْنَا بمنجى من أذاه

ما عاد يُلقى الحُزْنَ في بَسَمَاتِنَا

أو يخبئ الغُصَصَ المريرة خلف أغنيَاتِنَا

**

ثم استلمنا وردة حمراء دافئة العبير

أحبائنا بعثوا بها عبرَ البحار

ماذا توقعناه فيها؟ غبطة ورضًا قرير

لكنها انتفضت وسالت أدمعًا عطشى حرار

وسقت أصابعنا الحزيناتِ النَّعْمَ

إنا نحبك يا ألم

من أين يأتينا الألم؟

من أين يأتينا؟

أخي رؤانا من قدم

ورعى قوافينا

إننا له عطشٌ وقم

يحيا ويسقينا

أليسَ في إمكاننا أن نَغْلِبَ الألمَ؟
 نُرْجِيهِ إلى صباحِ قادمٍ؟ أو أمسيةٍ
 نشْغَلُهُ؟ نُقْنَعُهُ بلعبةٍ؟ بأغنيةٍ؟
 بقِصَّةٍ قديمةٍ منسيَّةٍ النَّعْمَ؟

**

وَمَنْ عَسَاهُ أن يكونَ ذلكَ الألمَ؟
 طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مُستفهمُ العيونِ
 تسكته تهويدهُ وربَّتهُ حنونُ
 وإن تبسَّمتنا وغلينا له يَنمُ

**

يا أصبغًا أهدى لنا الدموع والنَّدَمَ
 مَنْ غيرُهُ أغلقَ في وجهِ أسانا قلبه
 ثم أتانا باكياً يسألُ أن نُحبَّهُ؟
 ومن سواهُ وزَّعَ الجراحَ وابتسَمَ؟

**

هذا الصغير... إنه أبرأ من ظلم
عدونا المحب أو صديقنا اللدود
يا طعنة تريد أن تمنحها خدود
دون اختلاج عاتب ودونما ألم

**

يا طفلنا الصغير سامحنا يداً وقم
تحفر في عيوننا معابراً للأدمع
وتستثير جرحنا في موضع وموضع
إنا غفرنا الذنب والإيذاء من قدم

كيف ننسى الألم

كيف ننساه؟

من يُضيء لنا

ليلَ ذكراه؟

سوف نشربُه سوف نأكلُه

وسنقفو شرودَ خطاه

وإذا نمنا كان هيكلُه

هو آخرَ شيءٍ نراه

**

وملامحُه هي أولَ ما

سوف نُبصرُه في الصباح

وسنحملُه معنا حينما

حملتنا المنى والجراح

**

سُنْبِيحُ لَهُ أَنْ يُقِيمَ السُّدُودُ

بَيْنَ أَشْوَاقِنَا وَالْقَمَرِ

بَيْنَ حُرْقَتِنَا وَغَدِيرِ بَرُودِ

بَيْنَ أَعْيُنِنَا وَالنَّظَرِ

**

وَسَنَسْمَحُ أَنْ يَنْشُرَ الْبَلَوَى

وَالْأَسَى فِي مَأْقِنِنَا

وَسُنُؤُويِهِ فِي ثَنِيَّةِ نَشْوَى

مَنْ ضَلَّوعَ أَغَانِينَا

**

وَأخِيرًا سَتَجْرُفُهُ الْوُدْيَانُ

وَيُوسِّدُهُ الصَّبِيرُ

وَسِيَهِيْطُ وَاذِيْنَا النِّسْيَانُ

يَا أَسَانَا، مَسَاءَ الْخَيْرِ!

**

سوف ننسى الألم

سوف ننساهُ

إننا بالرضا

قد سقيناهُ

نحن توّجناكَ في تهويمة الفجر إليها
 وعلى مذبحك الفضيّ مرّعتنا الحياها
 يا هوانا يا ألم

ومن الكّتان والسّمسم أحرقنا بخوراً
 ثمّ قدّمنا القرابين ورثّلنا سُطوراً
 بابليّات النّعْم

**

نحنُ شَيّدنا لكّ المعبدَ جُدراناً شديّة
 ورششنا أرضه بالزّيْت والخمر النقيّة
 والدموع المُحرقة
 نحنُ أشعلنا لكّ النيرانَ من سَعف النخيل
 وأسانا وهشيم القمح في ليلٍ طويل
 بشفاهِ مُطبّقة

**

نحنُ رتلنا ونادينا وقدمنا النذور:
بلح من بابل السكرى وخبز وخمور
وورود فرحة
ثم صلينا لعينيك وقربنا ضحية
وجمعنا قطرات الأدمع الحرى السخية
وصنعنا مسبحة

**

أنت يا من كفه أعطت لحونا وأغاني
يا دموعا تمنح الحكمة, يا نبع معان
يا ثراء وخصوبة
يا حنا قاسيا يا نعمة تقطر رحمه
نحنُ خبانك في أحلامنا في كل نعمة
من أغانينا الكئيبه